نماذج من اهم المدن التي تقع في الجنوب من بلاد الرافدين

مدينة نفر

أ – التسمية و الموقع

ان اغلب تسمية المدن او المواقع تقترن بحادثة معينة تحدث بالقرب منها وتكون مميزة ربما تكون تلك الحادثة حقيقية او من الخيال وتنتقل لعدة اجيال كما نرى في تسمية مدينة نفر بهذا الاسم ، كما اورد لنا احد المؤرخين الاسلاميين (ياقوت الحموي) تحدث في كتابه معجم البلدان عن حادثة وقعت في تلك المنطقة اقترن فيما بعدها باسم مدينة نفر وهي " قال ابو المنذر : انا سميت نفر ، نفرا لان نمرود بن كنعان صاحب البرج حين اراد ان يصعد الى السماء فلم يقدر على ذلك هبطت النسور به على نفر فنفرت من الجبال وهي جبال كانت بها فسقط بعضها بفارس فرق من الله فظنت انها امر من السماء " علما انها لا توجد معلومات كافية لتفسير هذه الاسطورة وما سبب تأليفها على مدينة نفر.

عرفت نفر في المصادر الأجنبية باسم نيبور حيث ذكرت في النصوص المسمارية بصيغة (nibrua) او (Nippur) وهذه التسميات تعود الى مفردات لغوية قديمة وتراث الاقوام السابقة الذين سبقوا السومريين في استيطان السهل الرسوبي (الفراتيون الأوائل).

عرفت نفر بانها تقع على نهر (النرس) وباتت نفر مدينة مقدسة ومركزا دينيا لسكان بلاد الرافدين من السومريين و الاكديين بل وحتى من الاقوام التي جاءت الى بلاد الرافدين من الكشيين الذين سعوا الى إقامة تحالفات مع كهنة تلك المدينة لموالاتهم من اجل السيطرة ومن اهم الأسباب التي جعلتها من اهم واقدس المدن في السهل الرسوبي بسبب ارتباطها بأعظم الهة بلاد سومر و الهها القومي انليل ملك البلدان (السيد السامي للعالم) الذي يتجه اليه ولاء الاخريين كما سلطة الاله انليل تعطي الأولوية لهذه المدينة و التي توصف بكونها نفر هي المزار الذي سكن فيه الاب الجبل العظيم فكثيرا ما تنسب هذه المدينة للألة انليل اذ ان وجود معبد انليل جعلها مركز ثقل هائل عند سكان بلاد الرافدين وذلك منذ بداية السلالات الأولى فالهيكل الخاص بهذا الاله كان رمزا للوحدة القومية عند السومريين و الاكديين من سكان بلاد الرافدين ومن الأسباب أيضا وجود المنطقة المقدسة رباط السماء و الأرض في اعتقاد القديم لبلاد الرافدين.

الموقع

تقع مدينة نفر الى على بعد (١٧٥ كم) جنوب بغداد ، (٢٥ كم)شمال شرق الديوانية الى الشمال من قضاء عفك على بعد حوالي (١٠كم) تبلغ مساحة المدينة (١٨٠) ايكر ، و الايكر الواحد يساوي (٤٠٠٠) متر مربع ، حيث كان نهر الفرات قديما يشطر المدينة الى شطرين وما زال مجراه واضحا حتى اليوم ويعرف بشط النيل ، كما يحاذي المدينة من جهتيها

الشرقية و الغربية مجريان اخريان صغيران ، تقع اقدم اقسام المدينة على الضفة اليسرى لشط النيل ثم تأخذ الأرض بالارتفاع نحو الشرق حتى أواسط القسم الشرقي من المدينة حيث وجود البرج المدرج (الزقورة) يعرف باسم (أي كور) معناه بيت الجبل وهو مقر عبادة الاله انليل سيد الإلهة .

وهي مدينة دائرية غير منتظمة الشكل ، كما يعد الجانب الايسر اقدس اقسام المدينة وذلك لوجود اهم معابدها وابنيتها ومن الجهة الشمالية الشرقية وتحت بقايا التراب يقع الحي الديني المحصن.

ب – تاريخ المدينة

ان الموقع الجغرافي لمدينة نفر شمال بلاد سومر في وسط بلاد الرافدين اكسبها أهمية كبيرة من الجانب الاقتصادي بالنسبة لنظيراتها من المدن السومرية حيث الطرق التجارية المتجهة من سومر الى الشمال و القادمة من الشمال (أرمينيا ،الاناضول ، أذربيجان) باتجاه بلاد سومر (طرق البرونز) كانت تسير بمحاذاة نهر الفرات مرورا بمدينة نفر او بالقرب منها لذلك كانت نفر المتحكم بموارد و اقتصاد سومر

ان هذه المكانة الاقتصادية لمدينة نفر جعلت المدينة محط انظار الحكام و الملوك ذو الاطماع و الاتجاهات التوسعية الذين كانوا يحاولون السيطرة على اكبر عدد من المدن وضمها لنفوذهم ومن هؤلاء الملوك (انيميراكس) ملك كيش الذي سيطر على مدينة نفر ثم توسع جنوباً لكنه لم يفلح حيث ظهر (كلكامش) ملك سلالة اوروك الذي مد نفوذه على معظم بلاد سومر ومن ضمنها نفر التي بقيت تحت سيطرته

كما لها أهمية أخرى من الجانب الديني كونها مقر لعبادة الاله انليل (اله الجو) و سيد الإلهة يأتي في المرتبة الثانية بعد والده انو (اله السماء) في المعتقدات السومرية ونظرا لمكانته فقد كثرت القابه حيث ذكر في النصوص السومرية بسيد جميع البلدان و أب جميع الالهة و الاله الذي يقرر المصائر و الاله الذي لا رجعة لقراراته وبصاحب العينين البراقتين الذي يمتلك الواح القدر ، ومن خلال هذه المكانة المهمة للإله انليل برزت أهمية مدينة نفر من خلال التقليد الذي كان يفرض على بقية الإلهة ان تذهب سنوياً لزيارة الاله انليل في مقر عبادته وتطلب منه الرحمة و البركة لحكام المدن التي تعبد فيها تلك الالهة

كما لها مكانتها في الجانب السياسي ، في الفكر السومري ان الالهة اول من تقلد بصفة الملوكية في السماء و الأرض ، وبعد فصل السماء عن الأرض استلم الاله انليل شارات الملوكية و هي عبارة عن التاج و الصولجان و عصا الرعي التي استلمها من الاله انو وبعد خلق البشر لينوب عن الالهة في العمل فان الملوكية هي احد الهبات التي منحت الى

البشر من قبل الالهة وكانت شارات الملوكية بيد الاله انليل يسلمها لمن يراه مناسب من حيث الطاعة و الخضوع للإلهة وكانت تلك مراسيم التنصيب تتم في مدينة نفر.

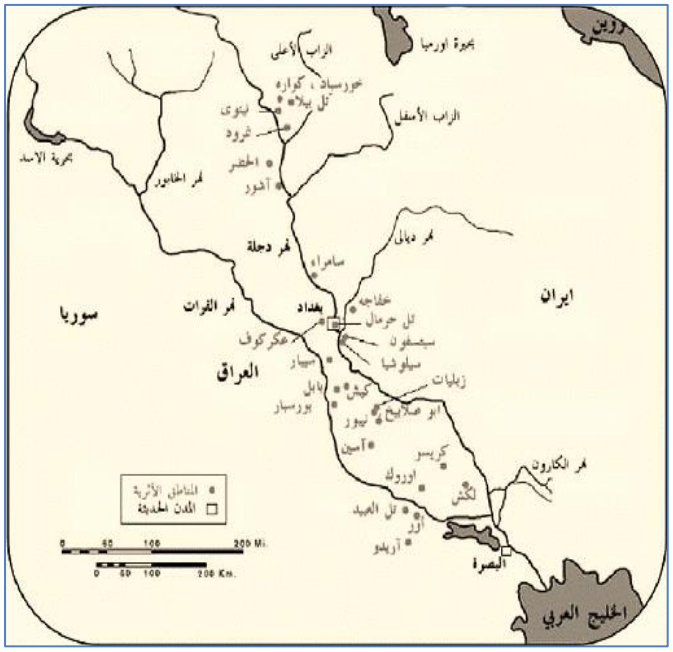

التنقيبات

بدأ التنقيب في المدينة في عام 1851م، ثم أرسلت جامعة بنسلفانيا الأمريكية بعثة للتنقيب في نفر، فقد استخرج ما يقارب 1700رقيم مسماري.

واثبتت علماء الآثار ان نيبّور سكنت منذ الألف السادس قبل الميلاد إلى نحو 800م، أي إنها استمرت قائمة لما يقارب من ستة آلاف عام، فقد أثبتت المجسات العميقة والكسر الفخارية المتناثرة أن هذا الموقع كان موجوداً في دور العبيد. ومن أوائل الألف الرابع قبل الميلاد اكتشف فخار أوروك وآثار جمدة نصر في الجزء الغربي من الموقع، في الألف الثالث قبل الميلاد امتدت أرجاء المدينة على كلا جانبي القناة الرئيسة التي تتوسط الموقع، ووصلت نيبّور إلى أقصى اتساع لها في عصر سلالة أور الثالثة2112 –2004) ق.م) حيث بلغت، احيطت المدينة باسوار سور من الجانب الغربي وله ثلاث بوابات وسور من الجانب الشرقي وله ايضا 3 بوابات بالاضافة الى خندق موازي للسور من الجانب الشمالي الغربي وايضا من الجانب الشمال الشرقي ، وكانت مدينة نفر يمر بها نهر الفرات قديما فيقسمها الى قسمين , عثر على لوح لمدينة نفر، يعود الى العصر البابلي والذي يمثل خريطة لجزء الشرقي من المدينة وقد احتوى على كتابات ذكر فيها اهم المرافق والبنايات في المدينة ودونت اسماء الابنية والانهار والاسوار والابواب.

وقد نجم عن هذه التنقيبات التعرف على المدينة وتاريخها، وما قدمته للحضارة من حيث وجود ما يدل على أول مكتبة في التاريخ واول صيدلية واول من لعب كرة القدم، حيث عثر على لوحة تظهر رجلا واما قدمه ماشيبه كرة القدم يداعبها. كما تم من خلال التنقيبات التعرف على اقسامها وتخطيطها وبناياتها

وما فيها من معابد. وكذلك نصوصا اقتصادية ورياضية وفلكية وادبية ودينية.

كذلك وجد في مدينة نفر أقدم تقويم زراعي حيث يوجد فيه "أقدم المعلومات عن طرق الزراعة والارواء التي كان يمارسها سكان العراق القدامى وصلت الينا موضحة في تقويم سومري عثر عليه في خرائب مدينة نيبور ومن الغريب المدهش ان الاوصاف التي ينطوي عليها هذا التقويم تدل على ان طرق الري والزراعة التي كانت تمارس في تلك الازمان لاتختلف في شيء عن طرق الري والزراعة التي يطبقها الفلاح العراقي في الوقت الحاضر ويشتمل هذا التقويم على نصائح وارشادات يوجهها أحد المزارعين الى ولده حول طريقة إدارة شؤون مزرعته وطريقة اعداد الأرض وانجاز عملية الحرث وتنظيم الري في حقله كي يحصل على اجود منتوج واوفر محصول، وقد دونت هذه الوثيقة التي يرقى تاريخها إلى ما قبل أكثر من آلف عام على رقيم من الطين يتكون من 108 اسطر بالخط المسماري باللغة السومرية وهي تعد اقدم التقويم معروف في تاريخ الحضارة عن الاساليب الفنية للري والزراعة المتبعة في تلك الازمنة القديمة" ، وتشتهر نفر أو نيبور Nippur بزقورتها الشهيرة التي تعلو تل ترابي يغطي المدينة القديمة ويمكن مشاهدتها من مسافة حوالي 20كم بالعين المجردة

طبوغرافية المدينة.

كان للمدينة شكل دائري غير منتظم وهذا ما اثبتته التنقيبات الاثرية حيث كشفت تلك التنقيبات عن مخطط المدينة المتكامل اذ يتألف هذا المخطط من قسمين بسبب نهر الفرات الذي يقسم المدينة كما اشرنا الى الجانب الشرقي الذي مثل المنطقة الدينية بسبب وجود المعابد و الزقورة ، اما الجانب الغربي فقد تمثل بالنسيج الحضري المتمثل بالجانب الدنيوي الذي يتكون بصورة رئيسية حارات المدينة و البيوت السكنية كما يذكر ان تخطيط مدينة نفر مشابه لتخطيط مدينة الوركاء والتي كانت أيضا يقسمها نهر الفرات الى قسمين وهذا يعد مخالفاً لمدينة اور التي كان نهر الفرات يحدها ، تميزت ابنية مدينة نفر بالأبداع المحلي الذي ظهر نمطاً مشابهاً له في منطقة ديالى

يتمثل بالأحياء السكنية و الازقة و الحقول الواقعة في القسم الغربي لمدينة نفر اذ ضمت المدينة مساحات خضراء على غرار مدينة الوركاء ، يتضح لنا ان مدينة نفر كانت على قدر كبير من التقدم في فن العمارة الدينية و كانت من اهم المدن المقدسة في بلاد الرافدين حيث ان اغلب مباني المدينة تضمنت معابد لعدد من الالهة القديمة

القصور

كشفت التنقيبات على قصر يعود الى العصر السلوقي يقع هذا القصر جنوب شرق الزقورة في القسم الشرقي لهذه المدينة كما يوجد أيضا قصر اخر من العصر البارثي ومن خلال عمليات التنقيب اتضح انه لم يوجد قصر يعود الى العصر السومري القديم الاحياء السكنية

كشف في مدينة نفر عن خمس طبقات استيطانية بلغ سمكها وهي مجتمعة بحوالي (٦ م) ربما يعود تاريخها الى العصر السومري القديم ظهرت من هذه الطبقات الخمس طبقتين لم تكن محفوظة بشكل جيد ، اذا قارنا المدينة مع باقي المدن السومرية وحتى المدن الاكدية فأننا نجد انها اعيد بنائها عدة مرات في جميع الأدوار كانت ملحقة بأفران كبيرة بدليل وجود الرماد في ساحاتها و الاواني الفخارية فوق تباليطها اما الأبنية السكنية فقد تعذر علينا إيجاد مخطط لها يبين شكل تصاميم المباني او حجمها.

معبد الايكور (E- kur)

عرف هذا المعبد باسم بيت الجبل لأنه يمثل مركز الارتباط بين السماء و الأرض ، يعد هذا المعبد الكبير و الرئيسي للإله انليل في مدينة نفر في المنطقة المقدسة و محاط بسور كبير يتكون معبد الايكور من الحرم المقدس لانليل و زوجته ننليل ، كتب اسم هذا المعبد باللغة السومرية (E-kur) وتعني بيت الجبل وقد اشترك في هذه التسمية مع العالم الأسفل الذي كتب (E-kur – Bad) أي (بيت الجبل الحصين) ويقع معبد الاله انليل الى الشمال الشرقي من الزقورة ويعود تاريخه الى عهد سبق العصر السومري الحديث ، كما ان تخطيط المعبد في زمن الملك اورنمو (٢١١٣ – ٢٠٩٦ ق . م) مستطيل الشكل ابعاده (٢٢* ٤٥ م) تقريبا يوجد له مدخل في كل الضلعين الطويلين كل منهما يؤدي الى غرفة واسعة يرجح انها خلوة ، وصف معبد الايكور بأوصاف كثيرة منها البيت السماوي و المجلس العظيم للألة انليل وقد تسامى سكان بلاد الرافدين في تصوراتهم عن هذا المعبد فقد ذكر في اساطيرهم بانه بيت حجر اللازورد المكان الذي يبعث الرعب في القلوب لان خشيته و رهبته تضاهيان السماء ، ولهذه القدسية العظيمة و التبجيل غير المألوف فان هذا المعبد اصبح مكاناً مقدساً يزار من قبل سكان بلاد الرافدين بل وحتى الالهة كانت تقدس الصرح العظيم لسيدها انليل.

مدينة الوركاء (اوروك)

الوركاء من المدن السومرية الضاربة في القدم والتي تقع بقايا أبنيتها في محافظة المثنى على بعد ٦٠كم شرق مدينة السماوة، ويرجع تاريخ بناء هذه المدينة أول مرة إلى الألف الخامس قبل الميلاد. وقد أطلق عليها عدة تسميات منها التسمية السومرية (أوروك) وتعني المستوطن وكانت ذات مركز ديني مرموق ، تعتبر مدينة الوركاء إحدى أوائل المراكز الحضارية في العالم التي ظهرت في بداية العصر البرونزي قبل حوالي ٤٠٠٠سنة قبل الميلاد ، وفي مدينة أوروك أخترعت الكتابة ومن هذه المدينة ظهر الحرف الأول في العالم وذلك في حدود ٣١٠٠ق.م ، اوروك كانت تلعب دور رئيسي في العالم في تلك الفترة قبل حوالي ٢٩٠٠ق.م ويقال بأن مدينة اوروك كان طول محيطها حوالي ٦كلم وبذلك كانت أكبر مدينة في العالم بتلك الفترة.

بدأ في هذه المدينة استخدام العجلة والقرص السريع في صناعة الفخار، كما بدأت العمارة تتطور وتأخذّ أشكال متطورة، وكان يُبنى أسوار منيعة حول المدن لتحصينها، كذلك تم بناء المعابد وتشييد بيوت سكنية لعامة الناس، وكانت المبانيُ مشيّدة من القصب، والطين، والحصران، كانت مدينة الوركاء قرية للمزاراعين، ثم مارس السكان بها مهنة التجارة، الأمر الذي جعل حضارة الوركاء مزدهرة تتألف بقاياها اليوم من تلول أثرية تم تنقيبها وأخرى لم يتم تنقيبها وكانت هذه المدينة العريقة تقع على نهر الفرات ولكنها تبعد اليوم عنه كثيً را بسبب ظاهرة تغير

الأنهار لمجاريها.أما مساكنها الأولى ومعابدها فقد كانت مشيدة من الطين والحصران والقصب ووجدت بقاياها في أعمق طبقات المدينة ، تم العثور على أقدم قارب في الوركاء، ويعود إلى ٤٠٠سنة تقريبًا على يد البعثة الألمانية أما أهم بنايات هذه المدينة فهي المعابد والزقورات والقصور حيث وجدت آثار ومبان على مستوى عال من الرقي ومنها أول نموذج للزقورة الذي صار السومريون وغيرهم فيما بعد يقيمون على قمتها أقدس شعائرهم الدينية. كما عثر في مدينة الوركاء القديمة أثناء التنقيب على العديد من اللقى الأثرية التي تدل على تقدم هذه المدينة في مضمار الفنون والأدب فقد نقش سكانها الألواح الحجرية والمسلات والأختام والآنية وأبدعوا في بناء واجهات المعابد بالفسيفساء ودونوا الحوادث التاريخية المختلفة، مساحتها قدرها ٢٠٠فدان حيث كانت ثلث من هذه المساحة مخصصه للمعابد اما الثلثان الاخران شملت ابنية سكنية للعامة ، وقد احيطت مدينة الوركاء بسور عظيم يبلغ طولة تقريبا ١٠كم ، ان مدينة الوركاء تتكون من مجمعين من الابنية هما منطقة (أنو) ومنطقة (إأنا).

منطقة انو:

احتوت هذه المنطقة على المعبد الابيض الذي امتاز بجدرانة المطلية باللون الابيض وانه هذه المعبد اقيم على مسطبه يتم الصعود الية بواسطة سلم ثلاثي . اما الاسوار الخارجية للمنطقة تبعد مايقارب ٥٠م من الشرق للمعبد الابيض , وقد احتوت منطقة انو على مساحات واسعه تحيط بالزقورة الموجوده فيها والتي خصصت لعبادة الالهه ايناانا.

منطقة انا:

ان من اهم المباني المميزه التي تحتويها هذه المنطقة مبنى يعرف ب قاعدة الاعمدة الذي احتوى على رواق من الاعمده بلغ اتساعه 30م يحتوي على صفين من الاعمده اعمدة دائرية يصل قطرها الى٢م وانصاف اعمدة على الجانبين وهنالك ايضا بناء اخر يوجود في موقع معزول عن مجمع ابنية انا عرف بمعبد الموزايك المخروطي الحجري حيث احيط به سور دفاعي ذو دعائم مزدوجة.

زقورة المعبد الأبيض في الوركاء

جزء من مقدمة معبد إنانا من (أوروك) في متحف الشرق الأدنى في برلين

أور :(تل المقير)

تقع مدينة اور على بعد 17كم جنوب مدينة الناصرية حيث تم اختيار هذه الموقع على مجرى نهر الفرات قديما الذي يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية والغربية، وكانت عاصمة للدولة السومرية عام 2100قبل الميلاد ، مدينة أور كانت مدينة مسكونة منذ فترة العبيد ، وفي الفترة 2600قبل الميلاد، وخلال حكم السلالة الثالثة في الفترة المبكرة ازدهرت أور ، وأصبحت المدينة المقدسة للآلهة إنّيانا، وفي النهاية سيطر ملوك مملكة أور على الدولة السومرية، كان للمدينة ميناء للتجارة، وسكانها يقسم:

إلى قسمين: قسم يسكن المدينة والثاني عبيد أو خدم يفلحون الأرض ويعيشون في القرى الريفية

المحيطة بها، وتقدمت مهنتي التجارة والصناعة ثم أصبحت أور المدينة العاصمة ، كانت مدينة أو مركزاً تجارياً هاماً، وذلك بسبب موقعها في نقطة محورية حيث يتدفق دجلة والفرات إلى الخليج العربي،

وقد أثبتت الحفريات الأثرية في وقت مبكر، أن أور تملك ثروة كبيرة، أجريت الحفريات الأولى في مدينة أور بعد الحرب العالمية الأولى، من قبل البعثة مشتركة من المتحف البريطاني

وجامعة بنسلفانيا، التي كانت تقوم بأعمال التنقيب تحت إدارة ليونارد وولي من عام 1922حتى 1924م، وقد تم اكتشاف ما تم تسميته بقبر الموت العظيم، وهو مجموعة من القبور، والمقابر الملكية اما شكل مدينة اور ذات شكل بيضوي غير منتظم يصل ابعادها حوالي النصف ميل وقد احيطت بسور عظيم ضخم مبني من اللبن ذو شكل بيضوي يتسع من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وبداخلة فناء عظيم وقد احيطت المدينة بسور ثاني يحتوي على طلعات مركزية قوية كان يحيط بالمنطقة المقدسة في جزء المدينة الشمال الغربي وقد اشارت المصادر ان مدينة اور كانت تحتوي على بوابتان قد فتحت باسوارها الاولى كانت تقع على مجرى نهر الفرات اما الثانية تطل على القناة المحفورة لتحصين المدين، ويقع في وسط هذه المدينة منطقة مقدسة تعرف بمنطقة المعابد واحتوت على الزقورة التي شيدها اورنمو وفي الجانب الشرقي من الزقورة تقع بناية كرست للاله ننكال التي احتوت على بعض المعابد اضيفت لها على مرور العصور اللاحقة .

اما في الجزء الجنوبي الشرقي من الزقورة شيد الملك اورنمو وهو مربع الشكل له مدخل واحد فقط يقع على الظلع الجنوبي الغربي وقد زينة جدار القصر بالطلعات والدخلات من اجل اسناد الجدران وتقويتها.